٢ – الطيور

اصغر الطيور واكبرها

العنقاء

في اقاليم المنطقة الحارة كثير من اصناف الطيور تمتاز عن طيور سائر المناطق بألوانها الجميلة واصواتها الرخيمة . وفي جملتها نوع صغير الحجم جداً اذا تطاير حسبته ياقوتة مرسلة في الفضاء او شرارة منبعثة من بطارية . وقد لا يزيد حجم الواحد منها على حجم بعض انواع الفراش . وقد يتوهم الناظر اليه انه فراشة ذات ألوان . وكثيراً ما يذهب هذا الطير فريسة نوع من انواع الزنابير القوية

واذا انتقلنا الى الطيور الكبرى اول ما يتبادر الى الذهن ان النعامة اكبرها كلها ولكنهم عثروا على بقايا طيور اكتشفها الاستاذ اوين في زيلاندا الجديدة نقلوها الى كلية الجراحة في لندن . ومنها بعض هيكل عظمي لطائر يسمونه الدينورنيس Dinornis ارتفاعه عشرة امتار وعظم الفخذ في الانسان البالغ لا يزيد حجماً عن ادق عظامه . والدينورنيس قد انقرض من اجل غير بعيد وسكان زيلاندا يتناقلون خبره فيما بينهم كما كان يتناقل العرب خبر عنقاء مغرب ونحن نعد خبر العنقاء خرافة لا حقيقة لها ولكن بالقياس على ما عثروا عليه في زيلاندا اصبح خبر العنقاء حقيقة تقادم عهدها وضاعت الآثار الدالة عليها . ولا يبعد أن يعثروا على شيء من آثارها في المستقبل كما عثروا على آثار الدينورنيس

ومن الطيور الهائلة ايضاً طير الابيورنيس Epiornis الذي كان في مداغسكر ويظن انه أعظم هامة من ذلك . فان بيضة من بيوضه في متحف باريس الآن وحجمها يزيد على ستة أضعاف بيضة النعام الكبرى . وقد حسبوا مقدار ما يساوي حجمها من بيوض الطيور الصغيرة فاذا هي نحو ١٢٠٠٠ بيضة . ثخانة قشرتها سنتيمتر ان لا تكسر الا بالمطرقة . فماذا عسى ان تكون قوة منسر فرخ الابيورنيس عند محاولته الخروج من البيضة – وهو لا يخرج منها حتى يكسرها بمنقاره ؟

فاذا قدرنا حجم الايبورنس بالقياس على حجم بيضته كانت هامته ستة اضعاف هامة النعامة فاعتبر ذلك ليهون عليك تصديق قول العرب عن العنقاء ـ فقد قالوا فيها اقوالا كثيرة لا يخلو بعضها من مبالغة فاذا أخذناها على اجمالها هان علينا التسليم بانها من الطيور الحقيقية التي عرفها العرب ثم انقرضت ـ قال القزويني « العنقاء اعظم الطير جثة واكبرها خلقة تخطف الفيل كما تخطف الحدأة الفار » وقال ابو البقاء العكبري « ان أهل الرس كان بارضهم جبل يقال له مخ صاعد في السماء قدر ميل وكان فيه طيور كثيرة وكانت العنقاء به وهي عظيمة الخلق لها وجه كوجه الانسان وفيها من كل حيوان شبه وهي من احسن الطيور وكانت تأتي الجبل في السنة مرة فتلتقط طيوره فجاعت في بعض السنين وأعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به ثم ذهبت بجارية أخرى »

النسر الاميركي

فاستغرب الناس ذلك وبنوا عليه فساد الرواية وانها خرافة لا أصل لها . مع اننا سمعنا غيرة مرة بوقوع ذلك من طيور معروفة . فان بعض النسور يهاجم الصيادين في اعلى جبال الالب ويؤذيهم وبعضها يختطف الاولاد وينثرهم على الجبال

واشهر واقعة من هذا النوع جرت في فالي بالجبل الابيض سنة ١٨٣٨ وذلك ان فتاة اسمها ماري دليكس عمرها خمس سنوات كانت تلعب مع رفيقة لها على سفح ذلك الجبل فانقضّ عليها نسر هائل اختطفها وتشبث بمخالبه باثوابها وطار بها ولم يبال بصياح رفيقتها فسمع بعض الناس الصياح فتقاطروا حالا فلم يجدوا من آثار ماري الا فردة من حذائها . وتتبعوا آثار النسر الى عشه فوجدوا فرخين حولها آكام من عظام الماعز والضأن ولم يجدوا آثار ماري بينها . وبعد شهرين اكتشف بعض الرعاة جثتها على نصف فرسخ من المكان الذي كانت تلعب فيه

وحدث سنة ١٨٨٦ في تبة بمسوري من الولايات المتحدة حادثة من هذا النوع رواها معلم احدى المدارس هناك قال « حدث في مدرستي حادث غريب لم نسمع بمثله . وذلك ان بعض النسور الكبرى قضى بضعة ايام لا ينفك عن اختطاف الحملان والخنازير ولم يخطر لنا انه يجسر على اختطاف الآدميين . ولكنه انتض

على التلامذة ذات يوم وهم يلعبون كالعادة واختطف ولداً اسمه جمي كني وسنه ثماني سنوات وطار به فسمعت صوت الغلام ينادني ويستغيث بي فوثبت وقد

ش ٥٠ : النسر يحمل ماري داليكس

تعاظم صياح التلامذة وعلا ضجيجهم . وكأن النسر تهيب او فزع فأطلق الغلام من بين مخالبه فسقط ميتاً وقد غرست مخالب النسر في لحمه »

وذكروا نسوراً هائلة خطفت رجالا وهم نيام . وأقوى النسور على ذلك يسمى في اصطلاح علم الحيوان جيباتوس (Gypaetus) فهل يقال بعد ذلك أن العنقاء لفظ لا معنى له ؟

حمام الزاجل

ان استخدام الحمام لنقل الرسائل قديم جداً وقد ذكرناه في الهلال مختصراً ولم نبين ما بلغ اليه الافرنج في تربيته حتى أصبح لازماً للدولة لزوم التلغراف والبريد قد لا يغنيهم عنه هذا ولا ذاك الا اذا تم لهم اتقان التلغراف بلا سلك

افرض سفينة ماخرة في الاتلانتيكي أصابها وهي في عرض البحر صدمة عطلت

آلتها البخارية او انتابها شيء آخر دعا الى وقوفها بين السماء والماء ولا سبيل لها الى شاطىء او ثغر ولا بين يديها من ينقل خبرها الى أوربا او الى اميركا — فهل ينفعها حينئذ التلغراف او البريد ؟ اما اذا كان عليها طائر من حمام الرسائل فانها تطلقه برسالة الى مدينتها فيسرع الناس الى انقاذها . وكم من سفينة ذهبت ضياعاً في لجج البحر ولم يعرف أحد خبرها فهو يقوم مقام التلغراف اللاسلكي

ناهيك بمزية حمام الزاجل في ساحة الحرب والجند لا يستقرون في مكان وقد يكون خط الاتصال بينهم وبين مركز حكومتهم مقطوعاً ولم يترك لهم الاعداء سلكاً منصوباً ولا خطاً ممدوداً فلا يستطيعون المخابرات التلغرافية ولا السفر في القطر الحديدية . ويقال مثل ذلك في أزمنة الحصار كما اتفق في حرب الترانسفال والصين وغيرهما

فللمراسلة بحمام الزاجل مزية على سائر طرق المراسلات الا التلغراف بلا سلك فلا غرو اذا أفردنا لها فصلا خاصاً فنقول :

﴿ حاسة الاتجاه ﴾ اذا خرجت على جوادك من منزلك الى قرية أو مدينة على مقربة من المدينة التي تقيم فيها وتحولت عن الفرس وأطلقت سبيله فيغلب أن يرجع الى منزلك من تلقاء نفسه. وكذلك الكلاب اذا تركت خارج مساكن أصحابها ولو على مسافة يوم أو بضعة أيام فانها قد تهتدي الى مكانها من تلقاء نفسها . وقد يفعل ذلك بعض الحيوانات الاهلية الاخرى . والناس يعجبون لحدوث ذلك من حيوان أعجم ولكنهم اذا أمعنوا النظر لم يروا ما يستوجب الاعجاب لان الفرس انما اهتدى الى بيت صاحبه بالمسير على آثار حفظ أشكالها وعرف مواقعها من قبل فعاد عليها . وربما استعان الكلب على ذلك بحاسة الشم لانها قوية فيه حتى تدرك للحجر رائحة وللتراب رائحة وربما عرفت كل حجر برائحة خاصة تميزه بها عن الاحجار الاخرى . فاهتداء الفرس الى بيت صاحبه ليس بالامر الغريب وانما الغريب هو اهتداء الحمام والنحل وغيرهما الى مساكنها بعد ابعادها عنها مئات من الاميال . ضع نحلة في علبة واخرج بها في قطار السكة الحديدية عشرات من الاميال ثم أطلقها فلا تلبث ان تراها طائرة نحو القفير الذي حملتها منه . والحمام يفعل اغرب من ذلك

مع أن طريقه في الجو . ولا يعقل ان يستدل على المكان ببصره ولا بشمه ولا بسمعه لانه قد يحمل في اقفاص مقفلة وينقل من الهافر في أوربا مثلا الى نيويورك في أميركا وبينهما الاوقيانوس الاتلانتيكي العظيم . فاذا اطلقته عند وصولك الى نيويورك عاد الى الهافر على خط مستقيم وما على سطح البحر ما يميز اجزاءه بعضها من بعض . فلا بد من حاسة غير حواسنا الخمس المعروفة لا وجود لها فينا وهي موجودة في الحمام والنحل ونحوهما تدرك بها الجهة بقطع النظر عن الحواس الاخرى وقد سموها « حاسة الاتجاه »

﴿ السر في صلاحية الحمام للمراسلة ﴾ من أظهر طبائع الحمام حبه لمسكنه وتعلقه به تعلقاً يشبه الجنون . فاذا نقف البيض عن فراخ الحمام اتخذ كل فرخ منها مكاناً في القفص او العش الذي ولد فيه . فيعيش فيه ويتمسك به وينافس عنه وينازع رفاقه عليه ويبني فيه عشه ويربي فيه فراخه ويحن اليه حنو الانسان الى وطنه وكثيراً ما ترى الحمام بعد ان يطير من عشه يرجع اليه لحظة كأنه نسي فيه أداة او آنية وقد عاد يلتمسها . وهو انما عاد ليتفقد عشه . والمشتغلون بتربية الحمام يقوون هذه الفطرة فيه بفواصل من الخشب يقيمونها بين أعشاش الحمام فيصير كل عش مستقلا بنفسه ويزيد صاحبه تعلقاً به . وقد يتبادر الى أذهان الناس أن الحمام انما يسرع الى عشه شغفاً بأنثاه او حنواً على فراخه والحقيقة انما يشتاق الى مسكنه

وفي الحمام طبيعة اخرى هي من اعظم الفواعل في صلاحيته للمخابرات وذلك انه يحب الطعام ويشتهيه وقد يظن لاول وهلة ان هذه الخاصية ليست من الاهمية في شيء ولكنهم وجدوا بمزاولة التجربة والاستقراء انها ذات شأن كبير في استخدام الحمام للمخابرات . ولايضاح ذلك افرض في القاهرة برجاً فيه حمام قد ألفه وتعوده . وافرض انك نقلت هذا الحمام من برجه الى برج آخر في حلوان فاقفلت عليه هناك وقدمت له في اوقات معينة من اليوم طعاماً يلتذ به دون سائر الاطعمة كالقمح مثلا . فلا يمضي يسير على هذه المعاملة حتى يعتاد الحمام هذا الطعام في أوقاته المعينة . فاذا اطلقت سراحه بعد بضعة أيام وهو شبعان عاد الى برجه في القاهرة بحكم تعلقه بمسكنه الاصلي وهو باق على تذكر مطعمه اللذيذ . فاذا أطلقت

سراحه في الوقت الذي تعود تناول الطعام فيه بحلوان طار اليها وقد لا يطير اليها الا في ذلك الميعاد . وعلى هذه الكيفية يتعود الحمام التردد بين بلدين ولو بعدت المسافة بينهما

واستخدام الحمام للمخابرات قديم جداً . ومن حوادث التاريخ الروماني أن بروتس وهيرتيوس تخابرا به في حصار مودينا في القرن الاول قبل الميلاد . واستخدمت الحمام أمم اخرى للمخابرات . ولكن يظهر أن المسلمين كانوا اكثر الناس عناية في ذلك

﴿ المخابرات بالحمام في الاسلام ﴾ استخدم المسلمون حمام الزاجل في اوائل الاسلام . ويقال ان اول استخدامه كان في الموصل ثم في مصر على عهد الفاطميين ثم غيرهم وكانت بين الاسكندرونة في سورية وبين مدينة بغداد مخابرات متواصلة بحمام يسمونه حمام حلب . على أنهم لم يعتنوا فيه العناية الكافية وينشئوا له الادارات الخاصة الا في العصور الاسلامية الوسطى فانهم عنوا في ذلك عناية كبرى وخصوصاً في مصر . فقد كان للمخابرة بالحمام أبراج في قلعة القاهرة على عهد الايوبيين في القرن السابع للهجرة وبلغ عدد الحمام المستخدم لهذه الغاية فيه الف وتسعمائة طائر لها عمال يناط بهم امر العناية بها . وكانت الطيور المذكورة لا تبرح الابراج بالقلعة . وكان بكل ناحية مركز حمام في سائر نواحي المملكة بمصر والشام والعراق من أسوان الى الفرات فلا تحصى عدة ما كان منها في الثغور والطرقات الشامية والمصرية وجميعها تدرج وتنقل من القلعة الى سائر الجهات . وكان لها بغال الحمل من الاصطبلات السلطانية وجامكيات البراجين والعلوفات تصرف من الاهراء السلطانية فتبلغ النفقة عليها من الاموال ما لا يحصى كثرة وكانت ضريبة العلف لكل مائة طير ربع وربة فول في كل يوم

وكانت العادة أن لا تحمل البطاقة الا في جناح الطائر لامور منها حفظ البطاقة من المطر وقوة الجناح . ثم انهم علقوا البطاقة في الذنب . وكانت العادة اذا بطق الطائر من قلعة الجبل الى الاسكندرية فلا يسرح الا من منية عقبة بالجيزة وهي اول المراكز . واذا سرح الى الشرقية لا يطلق الا من مسجد التين خارج القاهرة .

واذا سرح الى دمياط لا يسرح الا من ناحية بيسوس بشط بحر منجا . وكان يسير مع البراجين من يوصلهم الى هذه الاماكن من الجاندارية . وكذلك كانت العادة في كل مملكة أن يتوخى الابعاد في التسريح عن مستقر الحمام . والقصد بذلك انها لا ترجع الى ابراجها من قريب

وكان يعمل في الطيور السلطانية علامات وهي داغات او سمات في أرجلها أو مناقيرها ويسمونها الاصطلاح . وكان الحمام اذا سقط بالبطاقة لا يقطع البطاقة منه الا السلطان بيده من غير واسطة . وكان لهم عناية شديدة بالطائر حتى ان السلطان اذا كان يأكل وسقط الطائر لا يمهل حتى يفرغ من الاكل بل يترك الاكل ويحل البطاقة. وهكذا اذا كان نائماً لا يمهل بل ينبه. قال ابن عبد الظاهر وكان متولياً أمر هذا الحمام « وهذا الذي رأينا ملوكنا عليه وكذلك اذا كان السلطان في المواكب او لعب الاكر لانه بلمحة يفوت ولا يستدرك المهم العظيم اما من واصل او هارب واما من متجدد في الثغور ـ قال وينبغي أن تكتب البطائق في ورق الطير المعروف بذلك . ورأيت الاوائل لا يكتبون في اولها بسملة وتؤرخ بالساعة واليوم لا بالسنين وانا أؤرخها بالسنة ولا يكثر في نعوت المخاطب فيها ولا يذكر حشو في الالفاظ ولا يكتب الا لب الكلام وزبدته . ولا بد أن يكتب « سرح الطائر ورفيقه » حتى ان تأخر الواحد ترقبوا حضوره او طلبوه . ولا يعمل للبطائق هامش ولا تحمدل او يكتب في آخرها حسبلة . ولا تعنون الا اذا كانت منقولة مثل أن تسرح الى السلطان من مكان بعيد فيكتب لها عنوان لطيف حتى لا يفتحها احد . وكل وال تصل اليه يكتب في ظهرها انها وصلت اليه وتقلها حتى تصل اليه مختومة – قال ومما شاهدته وتوليت امره انه في شهور سنة ثمان وثمانين وستمائة حضر من جهة نائب الصبيبة نيف واربعون طائراً صحبة البراجين ووصل كتابه انه درجها الى مصر . فاقامت مدة لم يكن لها شغل تبطق فيه . فقال براجوها قد ازف الوقت عليها في القرنصة وجرى الحديث مع الامير بيدار نائب السلطنة فتقدر كتب بطائق على عشرة منها بوصولها لا غير . وسرحت يوم اربعاء جميعها . فاتفق وقوع طائرين منها فاحضرت بطائقها وحصل الاستهزاء بها . فلما كان بعد مدة وصل كتاب

السلطان انها وصلت الى الصبية في ذلك اليوم بعينه . وبطق بذلك في ذلك اليوم بعينه الى دمشق ووصل الخبر الى دمشق في يوم واحد وهذا مما انا مصرفه وحاضره والمشير به »

وكان مثل هذه العناية في الدولة النورية بالشام وفي غيرها . وكان من عاداتهم في تسريح هـذه الطيور ان يزيوها بزي مخصوص لتكون معروفة فلا يتعرض لها احد . فاذا وصل الطائر الى مركزه تؤخذ الرسالة منه وتحمل الى حمامة أخرى وهكذا حتى تصل الى المركز المراد . وكان لفظ الطير اذا اطلق انما يراد به حمام الزاجل ويسمونه ايضاً حمام الرسائل فيقولون مثلا « كتبوا كتاباً على جناح طائر » و « سرحوا طيوراً عليها الاخبار » والموضع الذي تسرح منه يسمى « المطار » وخادمها يقال له « مطير » وكان لهذه الطيور أثمان فاحشة . فقد ذكروا ان حمامة بيعت في بغداد على عهد العباسيين بسبعمائة دينار وحمامة حملت اليها من القسطنطينية فبيعت بالف دينار . وكان للحمام عندهم كتاب ودفاتر تكتب نسبتها فيها وقيمة شرائها . وقد الف القاضي ابن عبدالظاهر كتاباً في هذا الموضوع سماه تمائم الحمائم

وما زال الحمـام مستخدماً للمخابرات الواسعة في مصر الى اواسط القرن الخامس عشر فابطل من الوجه البحري ثم ابطل من الجهات الاخرى بالتدريج . فلما جاء التلغراف أغنى الناس عنه فانقضت دولته . ولـكننا رأينا في الخطط التوفيقية للمرحوم علي باشا مبارك انه ما زال الى ايامه في اواخر القرن الماضي ينقل الرسائل من قطيا الى بلبيس ومن بلبيس الى قلعة الجبل

ومن لطيف ما نظمه احمد بن علوي القيرواني في وصف هذا الطائر قوله :

خضرٌ تفوق الريح في طيرانها يا بعد بين غدوها ورواحها
تأتي بأخبـار العدو عشـية لمسير شهر تحت ريش جناحها
وكأنمـا الروح الامين بوحيـه نفث الهداية منه في ارواحها

وأما في اوربا فقد استخدموها في القرون الوسطى واهملوها بعد اختراع التلغراف وقد عادوا الآن الى العناية بها وتدريبها على حمل الرسائل في ساحات الحرب وفي البحار وفي أمثال هذه الاحوال حيث لا يغني التلغراف عنها شيئاً .

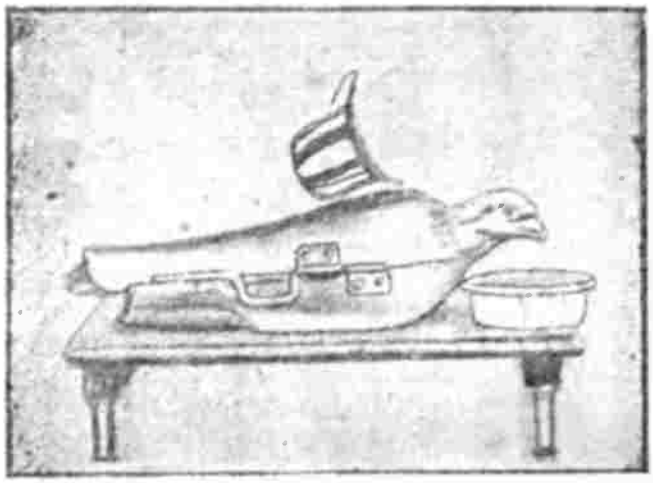

ش ٥١ : حمامة في محمدها وقد رفع الغطاء عن رسها لتشرب

وكانوا لا يرسلون الحمام الى مسافة اطول من ١٥٠ ميلا دفعة واحدة اما الآن فانهم قد يرسلونه الى اكثر من الف وخمسمائة ميل

ش ٥٢ : جندي خرج للاستكشاف
وطائر الحمام معلق في حزامه من محمده

﴿ كيف يدربون الحمام اليوم ﴾ يبدأون بتدريبه على حمل الرسائل الصغيرة الى المسافات القصيرة ويتدرجون من الميل الواحد فالاثنين فالعشرة الى المئة ولا يمضي على الطائر ستة أشهر حتى يستطيع قطع ٣٠٠ ميل في ٥ ساعات ويعود الى مكانه . وفي آخر العام الثاني يقطع خمسمائة ميل وفي الثالث الف ميل

واما الرسائل فيجب ان تكون خفيفة . وأحسن الحمام تدرباً يحمل رسالة ثقلها عشرة دراهم موضوعة في انبوب من الالومينيوم منبسط الشكل يعلق بذيله

واما نفقات هذا الطير فمقصورة على طعامه فالواحد منه يتناول نحو خمسمائة درهم من القمح في الشهر . وهو شيء زهيد على انه يعوض بالزغاليل التي ينتف البيض عنها ويقدرونها بنحو ثمانين في المئة

وتفننوا في حمل هذه الطيور في ساعات القتال فاصطنعوا لكل منها غمداً من الحديد أو الصفيح يدخلون الطائر فيه وله غطاء يغطي الرأس ولا يمنع عنه الهواء واذا ارادوا اطعامه او ارواءه رفعوا الغطاء وقدموا له الاناء كما ترى في الشكل ٥١

واصطنعوا للجند أحزمة بصنانير يعلق بها الطائر من غمده (ش ٥٢) والغالب أن يحمل هذه الطيور طلائع الجند في خروجهم لاستطلاع أحوال العدو لانهم يبعدون عن معسكرهم لاستكشاف مواقع الاعداء فيذهبون والحمام معلق في احزمتهم . فاذا رأوا أمراً يدعو الى المخابرة كتبوا البطاقة وأدخلوها في الانبوب وأطلقوا الطائر من غمده فيطلب المعسكر بأسرع من لمح البصر ويقال نحو ذلك في المخابرة بين السفن أو بينها وبين الشواطىء

العصافير النسامة والخياطة

لا يعجب الانسان مما يراه كل يوم من ظواهر الطبيعة لانه تعود رؤيتها وهكذا كل من شاهد أمراً ولم يعمل فكرته فيه لا ينتبه لما يشتمل عليه من عجائب التركيب ولو أمعن نظره لدهش بما هنالك من دلائل الحكمة وعجيب الصنعة . فان اوراق الشجر التي تتساقط بين ايدينا بالمئات والالوف ولا نعبأ بها لو تفحصت واحدة منها بالميكرسكوب لرأيت في نسيجها تركيباً عجيباً . والجمادات اذا تأملت تركيبها

بالميكرسكوب رأيت اكثرها مؤلفاً من بلورات بديعة الشكل . ويقال نحو ذلك في سائر المخلوقات

فقد تعودنا رؤية العصافير تتطاير في حدائقنا وترتزق من فضلاتنا ونحن لا ننتبه لها الا اذا اطربنا تغريدها فلتفت اليها حيناً ثم ننساها . اما اذا اتيح لنا درس طبائعها فنرى في كل شيء منها عجباً . ومن اغرب طبائعها تفننها في بناء عشاشها وهو موضوع هذا الفصل

ان ابسط العشاش ما تبنيه العصافير الاليفة في ثقوب الجدران او السقوف بطين او قش او بهما معاً في شكل الكهف . ثم العشاش كالدهاليز تدخل فيها الانثى من ثقب ضيق الى خلاء كروي الشكل او اسطوانيه يسع بضعة عشر فرخاً تتراكم بعضها فوق بعض . وما في هذه العشاش وامثالها مما يدعو الى الاستغراب وانما الغرابة بما يأتيه بعض العصافير البرية من بديع الصنعة في بناء تلك العشاش على اشكال هندسية جميلة

فمنها طيور تصنع عشها كالجراب تحيكه من قطع القش وتقيمه بين بضعة اغصان . وقد يكون كروي الشكل او اهليلجية او مخروطية وله فوهة يدخل منها العصفور الى فراخه . ولو تأملت جدار العش لرأيته دقيق الصنعة عجيب الصورة . ومن العصافير المشهورة ببناء عشاشها على هذه الصورة نوع يسمى تتموس (Titmouse) ومن تباينانه عصفور يعرف بطويل الذيل وآخر يسمى الرقاص او المعلق لانه ينسج عشه بشكل مخروطي ويعلقه من قمته بغصن ويفتح في جانبه فوهة ذات عنق يدخل منها الى العش

واغرب من ذلك ان بعض هذه العصافير تصنع لعشاشها ابواباً تقفلها عند الحاجة فهي من هذا القبيل ارقى « عقلا » من بعض قبائل الادميين في اواسط افريقيا الذين لا يصنعون لمنازلهم ابواباً . وذكر الموسيو جيردن في كتابه المسمى « طيور الهند » نوعاً من العصافير اذا آن زمن التفريخ حبس الذكر الانثى في عشها واقفل عليها باباً من الطين في بعض جوانبه ثقب ضيق للتنفس ولكي تتناول الانثى الطعام منه بمنقارها . وهمُّ الذكر في اثناء ذلك أن يحمل الى زوجته الطعام مما

يلتقطه من الحب ونحوه فتخرج منقارها من الثقب وتتناول ما يحمله اليها بمنقاره فهو لا يلام على فظاظته بحبسها باكثر مما يمدح على حنوه في خدمتها . ولا تزال « الزوجة » محبوسة حتى يتم التفريخ فيتعاون الزوجان على كسر ذلك السجن

وذكر سونرات الرحالة في سياحته الشهيرة طيراً سماه تتموس الراس Cape Titmouse يصنع عشه بشكل القنينة الضخمة او الجرة . وبجانب الفوهة جيب يجثم فيه الذكر في اثناء التفريخ لحراسة امرأته واولاده وهم في داخل العش . لان الانثى اذا آن وضع البيض دخلت العش واحتبست فيه لا تخرج منه الى تمام التفريخ .

ش ٥٣ : العصفور النساج وعشه ذو الجيب

وزوجها بدلا من أن يقفل عليها بالطين فانه يدفع الاذى عنها بحراستها في ذلك الجيب كالخفير (ش ٥٣)

واذا اراد الزوجان الخروج لغرض ضرب الذكر بجناحيه فوهة العش فتنطبق على ما فيه من الفراغ لحين رجوعهما ويكون في أمن من الاعداء في اثناء غيابهما

ولتتموس الراس هذا طباع اجتماعية غريبة فانه يعيش اسرابا يتألف من عشاشها شبه مدينة عامرة حول جذع شجرة ضخم . وقد يجتمع حول ذلك الجذع

نحو ٣٠٠ عش صغير فاذا فرضنا في العش الواحد ذكراً وانثى كان عدد سكان تلك « المدينة » ٦٠٠ نفس . وقد عني الموسيو لفاليان اثناء سياحته في افريقيا بنقل مدينة مثل هذه حملها بضعة رجال من مكانها واقتضى لنقلها في القطار الحديدي مركبة خاصة . فاذا نظرت الى تلك العشاش عن بعد خلتها سقوفاً معلقة بجذوع الشجر والعصافير تلعب فوقها

ش ٥٤ : عش العصفور الخياط

وأغرب مما تقدم ذكره من طبائع الطير ونباهته ضرب من العصافير الطويلة الذيل يسمى بالاصطلاح العلمي Sylvia sutoria يخيط عشه خياطة قد يعجز البشر عن تقليدها بلابر . وهو عبارة عن ورقة رمحية الشكل كبيرة الحجم نابتة في منبتها من الغصن يخيط العصفور عليها ورقة اخرى أصغر منها بقطع من عيدان دقيقة على اسلوب عجيب كما ترى في الشكل ٥٤

وبعد الفراغ من خياطة العش يحشيه بالقطن لتضع الانثى بيضها عليه ومتى تم التفريخ قضت الفراخ ايامها الاولى على ذلك الفراش الناعم في بيت معلق في الهواء

يتحرك بأخف نسيم . وفي المتحف البريطاني أمثلة من هـذا العش والشكل ٥٤ صورة واحد منها

البومة في القطب الشمالي

من الخصائص الطبيعية في الحيوان أن يتكيف على ما يلائم الاقليم الذي يعيش فيه والا فانه ينقرض . والغالب أن يتكيف عملا بناموس الانتخاب الطبيعي لحفظ النوع وفي بعض الحيوانات خاصة التكيف لمطابقة ظواهرها ظواهر ما يحيط بها من التربة او النبات فيتخذ احدها لوناً يشبه ما يعيش عليه من النبات أو يسرح فوقه من التربة او الحجارة . وهذا ايضاً من قبيل الانتخاب الطبيعي يراد به الدفاع عن النفس لان هذا الحيوان اذا طارده عدو يصعب عليه الاهتداء اليه لتشابه الالوان

ش ٥٥ : بومة القطب الشمالي

عليه ويظهر هـذا التلون على الخصوص بالحشرات وفي الطيور فالحجل مثلا ترى لون ريشه بلون الحصى التي يتنقل عليها فلا يهتدي الصياد اليه الا بمشقة

ومن هذا القبيل نوع من البومة تعيش في المنطقة الشمالية على الثلوج . اذا جاء الشتاء اكتسب شعرها لوناً أبيض كالثلج فاذا جلست أخفت منقارها وأغمضت عينيها فلا يشك من يقع بصره عليها انها قطعة من الثلج فلا يهتدي اليها الصيادون ولله في خلقه شؤون